نداء الوطن
NIDAA AL WATAN
nidaalwatan.com
الأثنين 30-03-2020 العدد 220

التعليم عن بعد في لبنان: ما له وما عليه

طوني عطاالله وإبراهيم بوملهم

ظهرت عملية التعلم عن بُعـد في بريطانيا منذ سـتينات القرن الماضي مسـتخدمةً وسائل الإعلام الجماهيرية المتوافرة. كانت الاذاعة والتلفزيون هما العنصران الاساسـيان في عملية التعليم. ثم أُنشـئ "المجلس القومي للتعليـم عن بُعد" ليتحول في العام 1982 إلى "المجلس الدولي للتعليم عن بُعد" حيث تَلقى دعماً مادياً كبيراً من البنك الدولي للتنمية.

تعتمـد عملية التعليم عن بُعد على وجود حدود مكانية تفصل المعلم عن المتعلـم، كما تعتمد على وسائط اتصال متعددة سـاعدت وسائل التواصل الحديثة في إبتكار انماط تعليمـية جديـدة تخـدم المنظومـة التعليمية وتعالج مشـكلاتها الاقتصادية والاجتماعية.

حتى وإن بدا التعليـم عن بعد للوهلة الأولى بأنه تجربة عملية، لكنه يفرض على من يتّبعه اسـتثمار الوقت والمال بوفرة. ما من شـك ان مزايا التعليم عن بعد عديدة. إذ باتباع الطالب مقررات عن بعد، يتابع حياته المعتادة، وفي الوقت نفسـه يحضّر اختصاصا آخر. وفي الواقع، نجد أحيانًا ان طلاباً اختاروا متابعة تعليم يستدعي منهم الحضور إلى الجامعة وتسجلوا في الوقت نفسه لتحضير دبلوم آخر عن بعد، وهذا ما يسمح بكسب الوقت.

في بعض أنظمـة المعادلات، تعتبر الدبلومات هي نفسها أكان صاحبها حازها بحضوره الشخصي إلى الجامعة أو نالها عن بعد، ولا يمكن ملاحظة الفرق. إلا ان لبنان لا يعترف لغاية اليوم بمعادلة شـهادات التدريس عن بعد. وثمة مـشروع قانون امام لجنة التربية النيابية التي أرسـلت بطلب استشارة هيئات التعليم العالي في لبنان، ولكن المشروع قد يتأخر درسه بسبب الأوضاع التي تمر بها البلاد.

من حسـنات التعليم عن بعد انه بفضل شبكات التعليم الوطنية والدولية، يمكـن للطالب ان يختار التعليم الذي يهمه ويناسـب مشاريعه، من دون ان يكون مرغمًا على الانتقال من بلده إلى جهة أخرى من العالم أو حتى داخل بلده. إنه يوفر حلّاً عملياً، بكلفة أقل وبما يسـمح له بالدخـول إلى جامعات تتمتع بمستوى جيد.

إن العائق الرئيسي لهذا النظام الدراسي ان الطالب يجد نفسه وحيداً في مواجهة المقررات أو شبه وحيد. لا يوجد أستاذ بتصرّف الطالب لإجراء اختبار خطّي وشفهي، ولا رفاق صف يتعاونون على التحفيز.

بالطبع، تشـتمل معظـم دورات التعليم عن بعد عـلى جهات اتصال عن طريق الهاتف أو البريد الإلكتروني أو الدردشـة مع الاساتذة، ولكن هـذا لن يحل محـل المعلم الموجـود داخل الصف وكأنه "على الهواء مباشرة"! قد يكون من الصعب على المرء تحفيز نفسـه بمفرده للقيام بفروضه وواجباته الدراسية بعد يوم طويل وشاق من العمل أو مليء بالإنشـغالات المختلفة حيث الطالب غير متفرّغ لتلقي الدراسة في شكل يصرف اهتمامه عن بقية المشاغل.

فوائد وقيود التعلّم عبر الإنترنت

أحدث التعليم عبر الإنترنت ثورة في مجال التعليم الأكاديمي وتدريب الشركات. في هذه العجالة سـوف نشـارك بلائحة كاملة من الفوائد والقيود المحتملة للتعلم عبر الإنترنت بحيث يفهم القارئ إيجابيات وسـلبيات طريقة التدريس. وما هي فوائد وقيود التعلم عبر الإنترنت في لبنان؟

تكمن الفوائد في عملانية التعلـم بالإنترنت، ولا يهم المتعلم في أي جزء من العالم يتواجد فيه. والمرونة حيث التعلّم بسـيط جدًا وأسـهل عندما يتكيف مع احتياجات وتفضيلات كل متعلم. والفعالية مع مردود مثير للإعجاب. النتائـج الفورية التي يحصل عليها المتعلّم. وزوال الحدود الفاصلة فلا المسافة عقبة ولا ثقافة المتعلمين ولا جنسيتهم. إضافة إلى التحديثات الفورية التي قد لا يتيحها الكتاب التقليدي.

لبنان والتعلّم عن بعد

أما لبنان فقد كان سـبّاقاً بين مختلف الدول العربية في افتتـاح مجال التعلم عن بُعد بالرغم من أن المديريـة العامة للتعليم العـالي في وزارة التربية لا تعترف به أو بالدراسـة بالمراسـلة وهذا يتطلب إعادة النظر بالشـهادات المكتسبة عن بُعد في ظل الظروف الراهنة وأزمة كورونا المستجدة التي حلّت بعد إقفال الطرق بفعل ثورة 17 تشرين الأول التي جاءت تعبيراً عـن يقظة وطنية مباركة. بدأت على أثرها مختلف الجامعات اللبنانية تتوجه للتعليم عن بُعد نظراً للظروف السائدة وضرورات تسيير شؤون التعليم في ظل واقـع أفضـى إلى إقفـال المدارس والجامعات.

مؤخـرًا، أرخت أزمة كورونـا ثقلها على قطاع التعليم في العالم فأقفلت المدارس والجامعات ابوابها. وبـات العام الجامعي مهـدداً خاصة في لبنان حيث كانت المؤسسات التربوية أيضًا مضطرة للتوقف عن التدريس لأكثر من شـهرين (تشرين الأول - كانون الأول 2019) مـا دفع وزارة التربيـة والتعليم العالي إلى إطلاق حملة التعلم عـن بُعد في مختلف قطاعات التعليم الرسمي والخاص.

إن عملية التعلم عن بُعد تستوجب شروطاً تقنية دقيقة غير متوفرة في لبنان حيث تفتقر المؤسسات التربويـة لمنصات الكترونية خاصة يسـتطيع الاستاذ كما الطالب الولوج اليها بشكلٍ آمن دون أن يتعـرض محتوى المعلومـات للقرصنـة. يُضاف إلى ذلك إنقطاع متكـرر للكهرباء وتباطـؤ في سرعـة الانترنت وعدم قدرة معظـم الاهالي على توفـيره لاولادهم في المنـازل في ظل ظروف اقتصادية صعبة.

بالاضافـة إلى عدم إستشراف مسـؤولي المؤسسـات التربويـة حلولاً لمشكلة التعطيل المتكـرر للـدروس بإطلاق ورشـة التعلم عن بُعد منـذ بداية العام الـدراسي 2019-2020، إذ كان مـن المفترض أن يُطلقوا عملية تدريب واسعة للأساتذة كما الطلاب خـلال الفصل الاول من هذا العام اسـتعداداً لأي طـارئ كالذي شـهدناه في السـابق أو في الوقت الراهن. وبمـا ان هذا الأمر لم يحـدث، اصبحنا اليوم أمام حلٍ إرتجالي يقـضي بالتعليم عن بُعد، وهو لا يراعي الحد الأدنى من المتطلبات الرئيسية لإنجاحه. ففي ظل نظام الارصـدة لم يبدأ فصل التدريس الثاني بعد في معظم الجامعات والاساتذة لم يتعرفوا شخصياً الى طلابهم مما يعمق مشكلة التواصل للتعلم عن بُعد.

وإذا أضفنا إلى هذا العائق إستحالة تَعَلُّم الدروس التطبيقيـة والمخبرية عن بُعـد في مختلف الكليات التطبيقية، كما أن عمليـة إمتحان الطالب لما تعلمه عن بُعد يعطي الاستاذ هامشًا كبيرًا من الاستنسابية ويوفر للطالب هامشًا أوسع من الغش ليكون التقييم النهائي لا يُوَصّف المسـتوى الفعلي للطالب. أمام كل هذه العقبات اسـتدركت الجامعـة اللبنانية خلال إطلاق عمليـة التعلم عن بُعد بالتأكيد أن الاسـاتذة سـيعوّضون الدروس على الطـلاب الذين واجهتهم معوقات في تلقيها.

يعاني الأستاذ كما غيره من الضغط النفسي الذي يعيشه وعائلته في ظل الازمة الاقتصادية الكورونية. وعليه أن يقوم بمجهود كبير لكي يتكيف مع التعليم المسـتجد عن بُعـد، ويجد أمامه احيانًـا طلابًا غير آبهين بأسلوب التعليم من خلال الشاشة مُعتبرين أن المواد التي تُدرّس عن بُعد هي لمجرّد التسلية وسيعاد شرحها لاحقًا بعد عودة استئناف الدراسة فلا داعي للجدية في تلقي المعلومات.

أما الجامعـات الخاصة المرموقـة كالجامعة الاميركيـة في بيروت (AUB) والجامعة اليسـوعية، (USJ) فالبرغم من اسـتعمالهما سـابقاً وسيطاً إلكتروني(E-learning, moodle,...) ليكون محتوى المقررات بين يـدي الطلاب قبل التدريس، فقد وجدت هذه الجامعات نفسها عاجزة عن احتساب أقساطها الجامعية لمختلف الطلاب حيث أن القسـط الجامعي للتعلم عن بُعد لا يسـاوي حتماً القسـط في التعليم الجامعي المباشر.

هذا وقـد أعلن وزير التربيـة والتعليم العالي أن تجربة التعلـم عن بعد هي لإبقـاء الطلاب في مناخ الدراسـة. لكن التعلم عن بُعد لا يمكن أن يحل مكان التعليم المباشر للمتعلم.

قد تبدو تجربة التعليم عن بعـد مفيدة للإبقاء على الطلاب في أجواء الدراسـة ومنع تشتتهم لوقت طويل في ظل الأزمات المتلاحقة التي يعيشـها لبنان والانقطاع عن التدريس، لكنها حتمًا ليسـت بتجربة تسمح لها بالحلول مكان التعليم التقليدي والحضور إلى الصروح التربوية وارتياد الأبنية والمكتبات ومعاينة الكتب ومتابعة الدروس الصفية.